غياب ثقافة الاستهلاك أنتج ظاهرة التبذير.. مختصون لـ"الحوار":

الجزائريون يرمـــون 3 ملايـــين خبزة يوميـــا في رمضـــان

- احتياط الصرف سيصل إلى 62 مليار دولار مع نهاية العام
- يجب نشر "علم نفس الاقتصاد" لتوعية المواطن بخطر التبذير
- المستهلك الجزائري يعيش حالة تناقض في رمضان
- غياب ثقافة الاستهلاك أنتجت ظاهرة التبذير
- الجزائر تستهلك حوالي 12 مليون طن من الحبوب سنوياً

أكد الخبير الاقتصادي والباحث بجامعة ورقلة الدكتور سليمان ناصر، في لقائه مع "الحوار"، أن المستهلك الجزائري يعيش حالة تناقض في رمضان، من جهة، تسمع أصواتا تنادي بارتفاع الأسعار ومن جهة أخرى تجده السباق إلى اقتناء المواد الاستهلاكية في شهر رمضان على غير العادة وكأنه مقبل على مواجهة أيام حرب، كاشفا في الوقت ذاته أنه من المتوقع أن يصل احتياط الصرف مع نهاية السنة الجارية إلى 62 مليار دولار فقط.

نصيرة سيد علي

■ ظاهرة التبذير تتكرر مع كل شهر رمضان، ما تشخيصك لهذه الظاهرة ؟

هذا يتعلق بغياب ثقافة الاستهلاك لدى المواطن، بحيث أصبح شهر رمضان المبارك للمباهاة في الاستهلاك وتزيين الموائد خاصة إذا حضر هناك شخص أجنبي عن البيت. ثم لا ننسى وسائل الإعلام التي تبيّن من خلال حصص معينة كيفية صنع الأطباق الشهية والحلويات بمناسبة هذا الشهر الفضيل مما يجعل ربات البيوت يتسابقن إلى تحضير تلك الأطباق، إضافة إلى تصوير البنات خاصة للموائد في البيوت وعرضها عبر وسائل التواصل الاجتماعي ودائماً على سبيل المباهاة، دون أدنى مراعاة لشعور المواطن الفقير الذي لا يجد مثل هذه الموائد والمأكولات ولا يقدر على توفيرها لأبنائه.

■ أمام تحول التبذير إلى ظاهرة مستديمة في مجتمعنا كل شهر رمضان، ألم يحن الوقت حتى تساهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية (مساجد، جمعيات، مؤسسات خيرية، جامعات، ..) في التأسيس لاقتصاد محلي يقوم على المقاسمة، والبذل والعطاء والصدقة، بدلاً من الغرق في الاستهلاك وتعظيم الأرباح، ما تعليقك ؟

أعتقد أن المساجد تقوم بدورها في هذا المجال بتوعية الناس بضرورة ترشيد الاستهلاك وعدم التبذير في هذا الشهر الفضيل لكن ربما بدرجات متفاوتة بين المساجد، تبقى الجهات الأخرى التي ذكرتيها عليها بالمساهمة أيضاً في هذا المجال، بالإضافة إلى التلفزيون لأن دوره مهم جداً. لكن أعتقد أيضاً أن التوعية الخارجية وحدها لا تكفي، فلابد للإنسان أو المواطن أن يحكّم ضميره، بحيث يستهلك على قدر أجرته ومقدرته المالية، فلا يجوز للمسلم الذي يشتكي من عدم كفاية أجرته أن يقترض من الغير ليبذّر ويتباهى بالاستهلاك أمام الناس في رمضان، ويجب على المسلم أن يتعلّم الحكمة الشعبية التي تقول: "مد رجلك على قدر كسوتك"، أي إمش على قدر مقدرتك وهي تنطبق على جميع المجالات بما فيها الجانب المالي.

■ ما أثر التبذير على مؤشر الأسعار في هذا الشهر بالذات ؟

قبل رمضان وبعد دخول رمضان هو نفس عدد السكان في الجزائر تقريباً، أي ليس هناك زيادة تُذكر، لكن المواطن بداعي المباهاة وحباً في التبذير كما ذكرنا من جهة، وعدم ثقته في السوق وفي السلطات عموماً من جهة أخرى، تجده إذا جاء شهر رمضان المبارك يشتري السلع الاستهلاكية بأكثر مما يحتاج ويخزّن، وكأننا داخلون في حرب لا قدر الله، وهذا ما يسبب اختلالات في السوق وفي التوزيع، وهذا ما يسبب ارتفاعاً مفاجئاً في الطلب وبالتالي زيادة في الأسعار، ثم تجد المواطن في النهاية يشتكي من ارتفاع الأسعار في رمضان، بينما هو المتسبب في ذلك في النهاية وليست السلطات.

■ كاقتصادي، ما تقديرك لحجم الأموال التي تهدر في هذا الشهر "تقدير كمي"، والذي تسبب فيه التبذير ؟

أكد مسؤولو النظافة وجمع النفايات منذ بضع سنوات أن حوالي 3 ملايين خبزة ترمى في المزابل يومياً على مستوى العاصمة لوحدها في شهر رمضان المبارك، أما على المستوى الوطني فيصل الرقم إلى 10 ملايين خبزة يومياً، بينما تؤكد منظمة حماية المستهلك أن عدد 3 ملايين خبزة هي على المستوى الوطني. ومهما كان الأمر بشأن تضارب الأرقام فالمهم أن هناك تبذيرا كبيرا للخبز بسبب أنه سلعة مدعمة من طرف الدولة وفي متناول جميع المواطنين. لكن المواطن البسيط يجب أن يعلم بأن الجزائر تستهلك حوالي 12 مليون طن من الحبوب سنوياً، تنتج منها ما بين 3.5 إلى 4 مليون طن وتستورد حوالي 8 إلى 9 مليون طن أي تستورد ثلثي حاجاتها الاستهلاكية وبفاتورة سنوية تقدر بحوالي 3 مليار دولار، ومؤخراً استطعنا الوصول إلى إنتاج حوالي 6 مليون طن أي أصبحنا ننتج نصف احتياجاتنا، ونستطيع تقليص فاتورة الاستيراد أكثر بالعمل والإنتاج طبعاً، وأيضاً بتخفيض التبذير.

■ في منظورك، من المبذر المرأة أم الرجل "دائما السؤال مرتبط بهذا الشهر الفضيل" ؟

الاثنان، فقد يكون التبذير من المرأة وهذا في أغلب الحالات لأنها هي التي تطبخ وتقوم بإعداد المائدة لهذا تسعى إلى تزيينها بشتى الأنواع من المأكولات حتى ولو كانت تعلم من الأيام الماضية أن أفراد أسرتها لا يستهلكون كل ذلك الطعام ويتم رمي معظمه، وبالتالي فهي مسؤولة أمام الله عن ذلك التبذير. كما قد يكون التبذير من الرجل الذي يرهق نفسه بالشراء فوق طاقته المالية، بل وحتى بالاقتراض، ليرى مائدته ملونة بشتى أنواع المأكولات، وهنا على المرأة أن تنهاه عن ذلك وتساعده في الاقتصاد وحسن التدبير.

■ ما هو الميكانيزم السليم الذي نستطيع من خلاله التقليل من مسألة التبذير، للقضاء عليه ولو جزئيا ؟

أول شيء هو التوعية، ومن مختلف الجهات خاصة المشايخ والوعاظ في المساجد، كما يكون ذلك أيضاً من خلال نشر ثقافة الاقتصاد وحسن التدبير المنزلي لدى مختلف شرائح المجتمع، الأطفال في المدارس، الشباب والبنات في الجامعات، والنساء عبر وسائل الإعلام وهذه أهم آلية نظراً لمتابعة النساء لمختلف البرامج التلفزيونية التي تُعنى بالطبخ، بحيث تكون هناك حملات عامة ترفع شعار القضاء على التبذير خاصة وأن البلاد تعاني من أزمة مالية، وهذا حتى يكون الفرد الجزائري محصناً ضد هذه الآفة ويحاربها تلقائياً من خلال ضميره.

■ هناك من يخصص ميزانية خاصة حيث يقوم باقتطاع مبلغ معين مع كل شهر ليقوم بصرفه في هذا الشهر، هل هذا السلوك صحي اقتصادياً ؟

إذا كان يقوم بذلك من أجل توفير الضروريات من الغذاء لعائلته وأولاده في رمضان فلا بأس في ذلك، أما إذا كان يقوم بذلك على سبيل المباهاة في هذا الشهر كما ذكرنا سابقاً ومن أجل الإنفاق فوق طاقته فليس هذا بسلوك صحي اقتصادياً، لأنه وفي ظل تدهور القدرة الشرائية للمواطن الجزائري والشكوى المستمرة من غلاء المعيشة فعلى هذا المواطن أن يوفر من أجل الوفاء بحاجيات أخرى مثل السكن أو وسيلة نقل ... إلخ، أو ربما بحاجات أكثر ضرورة لأولاده مثل الأدوات المدرسية أو الدواء أو حتى الدروس التدعيمية إذا كان الأولاد مقبلين على امتحانات مصيرية، بمعنى مادام الإنسان قادراً على التوفير فعليه أن يوفر من أجل حاجات أهم من الأكل خاصة إذا كان هذا فوق حاجته ويصل إلى الإسراف والتبذير.

■ ما أثر هذه الظاهرة على الحياة الاقتصادية؟

لقد أشرنا إلى هذا بالتفصيل، فهي (أي ظاهرة التبذير) تصرف مرهق للشخص مالياً وقد تدخله في دائرة الاستدانة، ومسببة لاختلالات كبيرة في السوق مما يرهق السلطات في تنظيمه، فضلاً عن أنها مرهقة للاقتصاد الوطني لأننا ندفع فاتورة كبيرة في استيراد المواد الغذائية تتجاوز مبلغ 8 مليار دولار سنوياً، منها حوالي 3 مليار دولار لاستيراد الحبوب فقط لأنها المادة التي يُصنع منها الخبز والكثير من المأكولات والحلويات، ونحن نسعى إلى تقليص فاتورة الاستيراد قدر الإمكان أمام الذوبان السريع لاحتياطي الصرف والذي من المتوقع أن يصل إلى 62 مليار دولار مع نهاية هذه السنة.

■ إذا كيف لا تساهم ظاهرة الغلاء الفاحش في كل رمضان في التقليل من مناكر التبذير ؟ هل نستطيع القول إنه ينبغي لنا في الجزائر تطوير مقاربة مايعرف بـ "علم نفس الاقتصاد" أو "الاقتصاد العاطفي" ؟

نعم بالفعل هناك تناقض من منظور اقتصادي، فالمواطن من جهة يشتكي من غلاء الأسعار (خاصة في شهر رمضان) ومن تدهور قدرته الشرائية ويطالب الحكومة باستمرار بتحسين الأجور، ومن جهة أخرى يمارس التبذير الكبير في هذا الشهر، وهذا بسبب التفاخر في تزيين الموائد كما ذكرنا سابقاً، لأن الإنسان يأكل بعينيه أكثر من بطنه، ولا يريد أن يحس أولاده بعقدة النقص تجاه البيوت الأخرى حتى ولو اضطره ذلك إلى الاستدانة لتزيين مائدته، ولذلك أشرنا في السابق عند الحديث عن الميكانيزم الذي نستطيع به محاربة التبذير أو التقليل منه وقلنا بأن الأمر يتعلق بالتوعية الشاملة لجميع أفراد المجتمع خاصة عبر وسائل الإعلام، ونشر ما سميته بـ"علم نفس الاقتصاد" يكون من طرف الجهات المختصة خاصة وزارة التجارة وجمعيات حماية المستهلك، عن طريق تلك الحملات العامة بنشر مبادئ التفكير الاقتصادي لدى المواطن ولو في حدها الأدنى، وأن نعلّم هذا المواطن بأنه عندما يمارس التبذير فهو لا يضر نفسه فقط بل يضر الاقتصاد الوطني ككل، فما بالك عندما يكون ظاهرة عامة يمارسها معظم الأفراد في المجتمع.